وقرأ العامة وليبدلنهم بفتح البا وتشديد الدال وقراه ابن كثير وابو بكر بسكون البا وتخفيف الدال من ابدله صلاحا بعد غي يعني رزقه صلاحا بدل الغي ويقال بدله الله من الخوف امنا قال ابو العالية في هذه الآية مكث النبي صلى الله عليه وسلم بعد الوحي بمكة عشر سنين مع اصحابه وامروا بالصبر على اذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم امروا بالهجرة الى المدينة وامروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق احد منهم سلاحه فقال رجال منهم اما يأتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فانزل الله تعالى هذه الآية قوله للاخبار عن الغيب على ما هو به فان الاستخلاف الموعود لا شك انه غيب وقد وجد هذا الموعود على الوجه الموافق للخبر ومثل هذا الخبر معجز والمعجز دليل صدق مدعي النبوة ثم انه تعالى وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الحاضرين وقت نزول الآية بدليل صيغة الخطاب في قوله آمنوا وعملوا وخطاب المشافهة في قوله منكم ليستخلفنهم استخلافا كاستخلاف بني اسرائيل في مصر والشام بعد الجبابرة وهذا الموعود والموعود عليه الذي هو الايمان والعمل الصالح لم يجتمع لغير الخلفاء الراشدين بالاجماع فهم المستخلفون في الارض باستخلاف الله تعالى اياهم واختياره على غيرهم فان قلت كيف صح ان يقال المستخلفون هم الخلفاء فقط وسائر المؤمنين كانوا شركائهم في ذلك قلت كانوا هم الاصول والملوك وسائر الناس اتباعا لهم في ذلك فكانوا هم المستخلفون لا غير وقد حصل في ايامهم الفتوح العظيمة وحصل التمكين وظهر الدين والامن فدلت هذه الآية على صحة خلافتهم قال عليه السلام الخلافة ثلثون سنة ثم تكون ملكا وكانت خلافة ابي بكر سنتين وخلافة عمر عشرا وخلافة عثمان اثني عشر وخلافة علي ست سنين رضي الله عنهم اجمعين قوله وقيل الخوف من الاعداء عطف على قوله من بعد خوفهم من الاعداء امنا منهم قوله او كفر هذه النعمة قال المفسرون اول من كفر بهذه النعم وجحد حقها الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه فلما قتلوه غير الله تعالى ما بهم من الامن وادخل عليهم الخوف الذي رفعه عنهم حتى صاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا متحابين قوله ولا يبعد عطف ذلك يعني ان بعد ما بين المتعاطفين بتخلل الفاصل المستطيل بينهما لا يمنع العطف لانه يبتنى على تحقق المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفاصل يؤكد المغايرة لان المجاورة مظنة الاتصال والاتحاد بخلاف المضاف والمضاف اليه فان بينهما اتصالا مانعا من توسط الفاصل بينهما مع ان للفاصل بينهما فائدة جليلة وهي الاشعار بان الجملة المتخللة وهي قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم الآية مما هو مهتم بشانه وانها متصلة بما يتعلق بالمعطوف وهو قوله تعالى فان تولوا كانه قيل فان تتولوا عن طاعته فما ضررتموه وانما ضررتم

انفسكم

فقد تم فانما حمل عليه ما حمل علته للجزاء المقدر اقيم مقامه منه

انفسكم لانه عليه السلام قد خرج عن عهدة ما كلف به واما انتم فقد بقي عليكم ما كلفتم به من الاطاعة والانقياد على تقدير توليكم فيؤاخذكم الله تعالى بعد ذلك في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فبان يستخلف اهل الايمان والطاعة ويسلطهم على اهل التولي والعصيان ويعذبهم بايدي المؤمنين بل يستاصلهم بالمرة فكان الفاصل من تتمة المعطوف عليه وقوله ولا يبعد يشعر بانه يجوز ان لا يكون معطوفا على قوله اطيعوا الله والعطف وجه ان يكون قوله واقيموا من باب الالتفات من الغيبة الى الخطاب كانه قيل يعبدونني ولا يشركون بي شيئا ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الرسول والذي يحسن هذا الالتفات الخطاب الذي في قوله قبل ذلك منكم وعطف اقام الصلوة وايتاء الزكوة على قوله يعبدونني ايذانا بشرفهما ومزيد قدرهما عند الله لانه من باب عطف جبريل على الملائكة قوله وتعليق الرحمة بها على تقدير ان يكون المعنى اطيعوا الرسول على رجاء الرحمة قوله او بالمندرجة هي فيه اي او لتعليق الرحمة بمجموع الامور التي اندرجت فيه طاعة الرسول على ان يكون المعنى افعلوا هذه الامور على رجاء الرحمة كما علق الهدى بالطاعة في قوله وان تطيعوه تهتدوا قوله لا تحسبن بالخطاب قرأ العامة لا تحسبن بتاء الخطاب ومثل هذا الحسبان وان كان لا يتصور منه عليه السلام الا انه نهي عنه مبالغة في تسليته ولان خطابه في حكم خطاب امته لكونه رئيسهم وامامهم ومفعولا فعل الحسبان هو الاسم الموصول مع قوله معجزين وفاعله ضمير النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون لا تحسبن خطابا عاما لكل ما يصح ان يكون مخاطبا وهذه الآية نزلت تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه وايذائهم والمعنى لا تحسبنهم يسبقوننا اي يفوتون عذابنا فانه لاحق بهم لا محالة اما عاجلا واما آجلا ذكر على القراءة بياء الغيبة ثلثة اوجه الاول ان يكون فاعل الحسبان ضمير النبي صلى الله عليه وسلم والذين كفروا معجزين مفعوليه اي لا يحسبنهم النبي معجزين في الارض والثاني ان يكون الفاعل الذين كفروا وفي المفعول ح احتمالان الاول ان يكون معجزين في الارض مفعوليه والمعنى لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله ثابتا في الارض حتى يطمعوا في مثل ذلك اي في ان يعجزوا الله تعالى ويفوتوا عذابه على ان معجزين اول المفعولين وفي الارض ثانيهما وحق المفعول الاول في باب حسبت ان يكون معرفة وجاز ههنا وقوعه نكرة لكون معجزين صفة موصوف محذوف اي احدا يعجز الله ولما كان احدا واقعا في سياق النفي افاد العموم فجاز وصفه بالجمع لذلك والاحتمال الثاني على تقدير ان يكون الذين النفي تام

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)